كرنولوجيا المسرح الثوري في الجزائر/ قراءة في مسرحية "مأساة جميلة"

The revolutionary theater in Algeria/Reading in the play "Jamila Tragedy"

الدكتورة: سوسن ابرادشة
جامعة الجزائر 02 ـ أبو القاسم سعد الله / الجزائر
- البريد الالكتروني: salasilobrad@gmail.com

تاريخ الإرسال:2019/09/23	تاريخ القبول:2019/11/20	تاريخ النشر: 2019/12/23

الملخص:

تهدف هذه الدراسة للكشف عن دور المسرح في الثورة الجزائرية وأثره عليها وتأثيرها عليه، فقد أثارت هذه الأخيرة الكثير من ردود الأفعال في شتى المجالات والميادين الإنسانية والاجتماعية والثقافية. وقد حاول الشّاعر عبد الرّحمن الشّرقاوي في رائعته "مأساة جميلة"؛ أن يرسم لنا حقيقة معاناة المرأة الجزائريّة ونضالها وتضحياتها من أجل نيل الحرّية، وهذا ما سنجتهد في كشفه وتيسيره من خلال قراءة مفصّلة حول هذه المسرحيّة الثوريّة، ومحاولة كشف أبعاد شخصية "جميلة بوحيرد" فيها؛ الّتي ما هي إلا واحدة من آلاف الجزائريات اللّواتي ساهمن في تحرير البلاد.

الكلمات المفتاح: المسرح؛ الثورة؛ جميلة بوحيرد؛ عبد الرحمن الشرقاوي، النضال.

Abstract:

This study aims to reveal the role of theater in the Algerian revolution and its impact on it and the influence of the latter on it. The latter has provoked many reactions in various fields including the humanitarian, social and cultural ones. The poet Abdel Rahman Cherkaoui attempted in his masterpiece "The Tragedy of Jamila" to picture the reality of sufferance among Algerian women and their struggles and sacrifices for freedom, and this is what we will endeavor to reveal in exploring this revolutionary play. We are also going to reveal the dimensions of the character "Jamila Bouhierd" which represents one of the thousands of Algerians who contributed to the liberation of the country.

Keywords: Theater; revolution; Jamila Bouheird; Abdel Rahman Cherkaoui, struggle.

توطئة:

تعتبر الثورة الجزائرية من أعظم الثورات التي شهدها العالم في القرن العشرين؛ فهي نموذج تقتدي به حركات التحرر في مختلف بلدان العالم المستعمرة، بل "إن دور ثورة أول نوفمبر الجزائرية في تحرير إفريقيا من الاستعمار عظيم جدا... والمنصفون من السّاسة الأفارقة اعترفوا بهذا الدور وما تزال الاعترافات تتوالى، لأنّها هي التي حطمت فعلًا وحقيقةً الإمبراطوريةَ الفرنسيةَ فيما وراء البحر[1].

[1] ينظر.. يحيى بوعزيز: مكانة ثورة أول نوفمبر 1954 بين الثورات العالمية ودورها في تحرير الجزائر، مجلة المصادر – الجزائر، ع 04، 2001، ص 47.

كما تجسدت هذه الثورة المجيدة في مختلف الأجناس الأدبية بِبُعد ثقافي ثوري بالدرجة الأولى، وكان لجنس المسرح حضور مميز (من داخل وخارج الوطن) في تصوير مشاهد الثورة الجزائرية ونقل وقائعها، وتمجيد بطولات أعلامها، وكشف حقيقة المستدمر الفرنسي وجرائمه البشعة ضد الجزائريين، ذلك أن خشبة المسرح لا تكتفي بنقل الصورة الأدبية والحكي فقط، وإنما تُعنى بتجسيد الفعل الدرامي الذي يناسب طبيعة موضوع الثورة الدرامي أيضا.

وكما هو معروف، فقد شهدت الجزائر حالة مزرية في جميع مجالات الحياة، وهي تتعرض لكل أنواع القهر والتدمير والاستعمار المُمَنهج على كل المستويات، ومنها المجال الأدبي والثقافي الذي سعت فيه فرنسا إلى تشويه الثقافة الجزائرية ومعالم الهوية الوطنية التي تمتد عبر قرون، وأمام انسداد الأبواب نحو تعلّم اللّغة العربيّة، وأمام قوة المستعمر الذي لا يمكن قهره، حاول الجزائريون استغلال كلّ الإمكانيات المادّية والمعنويّة المتاحة في الرّد عليه، ونشر الوعي السياسي والثقافي بين الجزائريين بلغته وبغير لغته، ومجابهته، ومقاومته، ومحاربته ثقافيا بالفكر والإبداع وعدم الاكتفاء بالجانب العسكري فقط، وهذا ما ذهب إليه مولود معمري حينما قال: "إنني على ثقة أكيدة بأنّ المناضل هو الذي يطلق النّار على الآخرين، وفي الإمكان أن نطلق نحن العبارات النارية بواسطة القلم.[1] وفي هذا السياق، وفي ظلّ تغييب الثقافة الجزائرية وطمسها بمختلف الوسائل الهمجية التعسفية؛ أخذ الجزائريون يحاربون الاستعمار (بالتدريج) في ثنايا أسطر كتاباتهم؛ التي استمرت إلى غاية نيل الاستقلال مرورا بمرحلة الثورة التحريرية المجيدة، التي تبارت الأقلام الجزائرية والعربية والغربية أثناء قيامها في وصفها وتصويرها والتعبير عن مشاعرهم الجياشة تجاهها وتجاه أبطالها في مختلف الأجناس الأدبية، ومنها فنّ المسرح الذي كان له دور هام في نشر الوعي السياسي والثقافي بين أفراد المجتمع وأوساطه، ونجد في هذا المجال احتفاء

[1] أديب بامية عايدة: **تطور الأدب القصصي الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص137.

المهتمين بهذا الجنس الأدبي من خارج الوطن ببعض رموز النضال النسوي الجزائري وكفاحهن من أجل وطنهن، ومنهم أهم الرموز التي احتفت به الكتابات المتوسطية هو رمز "جميلة بوحيرد[1]"، التي استحال اسمها إلى موضوع يلهم المبدعين، ويذكي قرائحهم وملكاتهم.

ولأنها فعلا تمثل رمز المقاومة النسوية الجزائرية فالمبدعون الذين كتبوا عنها شعراً ونثراً (خاصة الشعر) كثيرون جدا، "حتى أن بعض النقاد أحصى ما يقرب من سبعين قصيدة كتبها عنها أشهر الشعراء في الوطن العربي مثل: نزار قباني، وصلاح عبد الصبور، بدر شاكر السياب، الجواهري وعشرات أخر[2] ومن أهمهم أيضا على سبيل المثال لا الحصر: الشّاعر كامل الشناوي[3] في عمله المشهور أوبريت "**جميلة**"، والروائيان يوسف السّباعي ومحمّد جلال، والمخرج العالمي "يوسف شاهين" في فلم بعنوان: "جميلة" سنة 1958م وغيرهم، والشّاعر

---

[1] **جميلة بوحيرد**: هي مجاهدة جزائرية ولدت عام 1935 في حي القصبة بالجزائر العاصمة، كانت هي البنت الوحيدة بين أفراد أسرتها (من بين 7 ذكور)، ومع ذلك درست وواصلت تعليمها إلى أن التحقت بمعهد للخياطة والتفصيل حيث كانت تهوى تصميم الأزياء، مارست الرقص الكلاسيكي وكانت بارعة في ركوب الخيل إلى أن اندلعت الثورة الجزائرية عام 1954 حيث انضمت إلى جبهة التحرير الوطني الجزائرية للنضال ضد الاحتلال الفرنسي وهي في العشرين من عمرها، ثم التحقت بصفوف الفدائيين وكانت أول المتطوعات لزرع القنابل في طريق الاستعمار الفرنسي، وكان دورها النضالي يتمثل في كونها حلقة الوصل بين قائد الجبل في جبهة التحرير الجزائرية، ومندوب القيادة في المدينة الذي كانت المنشورات الفرنسية في المدينة تعلن عن دفع مبلغ مائة الف فرنك فرنسي ثمنا لرأسه! ونتيجة لبطولاتها أصبحت الأولى على قائمة المُطارَدين إلى غاية أن أصيبت برصاصة في الكتف عام1957 م، حيث ألقي القبض عليها وهي على الأرض تنزف دماً.

[2] نقلا عن موقع المعرفة: جميلة بوحيرد، قصة نضالها ضد الاستعمار، تاريخ الاطلاع: 28 جانفي 2019.

[3] – **كامل الشناوي**: شاعر وصحفي مصري ولد سنة1908 بمحافظة الدقهلية بمصر، عمل بالصحافة مع الدّكتور طه حسين في "جريدة الوادي"عام 1930، وكان ميلاده عقب وفاة الزعيم الوطني مصطفى كامل، فسماه والده "مصطفى كامل" تيمنا بوطنية الزعيم الراحل وكفاحه، من أهم مؤلفاته :اعترافات أبي نواس – أوبريت جميلة – الليل والحب والموت وآخر أعماله كانت أوبريت "أبو نواس ." توفي سنة 1985.

عبد الرّحمن الشّرقاوي[1] في رائعته "مأساة جميلة"؛ الّتي ترسم لنا حقيقة معاناة المرأة الجزائريّة ونضالها وتضحياتها من أجل نيل الحرّية، وهو ما سنجتهد في كشفه وتيسيره من خلال قراءة مفصّلة حول هذه المسرحيّة الثوريّة، ومحاولة كشف أبعاد شخصية "جميلة بوحيرد" فيها والّتي ما هي إلا واحدة من آلاف الجزائريات اللّواتي ساهمن في تحرير البلاد من وطأة الاستعمار، وقبل الشروع في كل هذا، ارتأينا أن نعرض لمحة موجزة عن صدى الثورة الجزائرية في الأعمال المسرحية ذات البُعد الثوري المقاوم المشابهة لمسرحية "مأساة جميلة" من داخل الوطن وعلى مستوى القطر العربي:

1- صدى الثورة الجزائرية في الأعمال المسرحية داخل الوطن:

تفاعل المسرح الجزائري مند نشأته في العشرينات من القرن الماضي مع مستجدات الوضع السياسي الصعب والحرج الذي كانت تمرّ به الجزائر، فكانت بدايته متزامنة مع انطلاق الحركة الوطنية بقيادة "**الأمير خالد**" [2] الذي انخرط بنفسه في تفعيل النشاط المسرحي وتهيئة الأرضية له في أوساط الجماهير، حتى يتم استغلاله بشكل غير مباشر في مجابهة الاحتلال الفرنسي من خلال نشر

[1] عبد الرّحمن الشّرقاوي: أديب وصحافي ومفكر إسلامي مصري ولد سنة 1921 م، تلقى تعليمه في كتاب القرية ثم انتقل إلى المدارس الحكومية إلى أن تخرج من كلية الحقوق عام 1943م ، بدأ حياته العملية بالمحاماة ثم هجرها وعمل في عدة صحف حتى يصبح كاتبا، من أهم أعماله: رواياته: الأرض، وقلوب خالية، ثم الشوارع الخلفية ، الفلاح، مأساة جميلة، مسرحية الفتى مهران، والنسر الأحمر... وحصل الشرقاوي على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام1974 ، والتي منحها له الرئيس السادات، كما منحه معها وسام الآداب والفنون من الطبقة الأولى، توفي سنة 1987م.

[2] الأمير خالد: هو حفيد الأمير عبد القادر ولد بمدينة دمشق بسوريا يوم سنة 1875 مسقط إقامة أسرته بعد مغادرتها الجزائر سنة 1848، تربى تربية صحيحة وسط كنف العائلة.حيث حفظ القرآن و تعلم العلوم العربية والدينية وبرع فيها، انتقل الأمير خالد رفقة والده إلى الجزائر، وبها تابع دراسته الإعدادية، ويعتبر هو مؤسسا للحركة الإصلاحية حسب الدكتور سعد الله، فقد استغل الرصيد النضالي لجده الأمير عبد القادر ومعرفته للحضارة العربية الإسلامية للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية، وبدأ نشاطه السياسي بعد تقاعده من الجيش الفرنسي على جبهتين: الأولى: التصدّي لدعاة الإدماج والداعين إلى التجنّس بالجنسية الفرنسية، والثانية: ضد غلاة المعمرين والنوّاب الفرنسيين. وقد بعث الأمير خالد بعريضة إلى الرئيس الأمريكي "ولسن" يطرح فيها مطالب الجزائريين توفي سنة 1936م بدمشق.

الوعي السياسي الثوري ورفع المستوى الثقافي تدريجيا بين أفراد المجتمع الجزائري بأسلوب فني درامي مرسخ لثوابت الهوية الثقافية الوطنية الأصيلة، فقام المسرح حينها بدور المحرض على الثورة قبل اندلاعها، وكانت له عدة صدامات مع سلطات الاحتلال، "التي منعت نشاطاته في بعض الأحيان، ووضعت نصوصه وعروضه تحت المراقبة أحيانا أخرى، ورغم المساحة الضيقة التي سمحت بها إدارة الاحتلال، استطاع المسرح الجزائري مرافقة خطوات المقاومة والتحريض على الثورة، إذ اتخذ كل فضاء يجده منبرا له، حيث نشط في العمل السري والسجون والمعتقلات وفي الجبال و خارج الجزائر وعبر الأثير من خلال المسرحيات الإذاعية الثورية[1].

ومن أهم الأعمال المسرحية التي كتبت وعرضت إبان الثورة التحريرية وظهرت فيها ملامح البعد الثوري والسياسي المؤيد للثورة نذكر على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

1-1- مسرحية "الجثة المطوقة" (le cadavre encerclé) لكاتب ياسين[2]:

وتُعد هذه المسرحية من أول المسرحيات التي تُعنَى بالثورة الجزائرية، تمّ نشرها أول مرة في مجلة (أسبري esprit) الفرنسية في ديسمبر 1954 وجانفي 1955، وتم عرضها بمسرح موليير في بروكسل في أواخر شهر نوفمبر 1958 ثم بباريس في أفريل 1959، وذلك من طرف فرقة(جان ماري سيرو: jean mari serrou) الذي لعب دور لخضر[3] في المسرحية، وقد حاول كاتب ياسين

---

(1) ثليلاني أحسن: **المقاومة الوطنية في المسرح الجزائري(ما بين 1954-1962)**، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006، ص201.

(2) **كاتب ياسين:** أديب وكاتب جزائري من ولاية قسنطينة ولد سنة1929 م، التحق بالمدرسة الفرنسية ببوقاعة lafayetteسابقا ولاية سطيف سنة 1935 م، شارك في مظاهرات 8 ماي 1945، قُبض عليه وسُجن وعمره لا يتجاوز 16 سنة، وكان لذلك أبعد الأثر في كتاباته، وبعدها بعام فقط نشر مجموعته الشعرية الأولى "مناجاة"، نجا من محاولة اغتيال سنة 1987، توفي سنة1989 بفرنسا بسبب سرطان الدم، نقل جثمانه ودفن في الجزائر يوم أول نوفمبر 1989م.

(3) أحمد بيوض: **المسرح الجزائري (1926-1989)**، منشورات التبيين/الجاحظية، الجزائر، 1998، ص90.

من خلال هذه المسرحية كشف حقيقة المستعمر ومعاناة الجزائريين وألامهم وآمالهم أمام الرأي العام العالمي، حتى يستميله ضد حرب الإبادة التي تشنها فرنسا ضد الجزائريين.

1-2- مسرحية "حنين إلى الجبل" لـ: "صالح خرفي": [1]

كتبت هذه المسرحية سنة 1957 وعرضت ضمن النشاط المسرحي للطلبة الجزائريين بتونس، وهي مسرحية مقاوم في أربعة فصول ذات بُعْد ثوري بأسلوب أدبي يمزج بين النثر والشعر، حاول من خلالها خرفي تصوير تضحيات وبطولات الشعب الجزائري خلال الثورة التحريرية الممجدة.

1-3- مسرحيات الفرقة الفنّية لجبهة التّحرير الوطني:

تأسّست هذه الفرقة في مارس 1958 في المنفى بتونس، بقيادة "مصطفى كاتب" وكانت تضم خمسة وثلاثين (35) عضوا موزعين على قسمين: قسم للمسرح وآخر للفنون الغنائية والرقص الشعبي، قدمت هذه الفرقة عدة مسرحيات هامة نذكر منها مايلي:

1-3-1- مسرحية: "نحو النور" لمصطفى كاتب: [2]

---

(1) **صالح خرفي**: أديب جزائري ولد سنة 1932 بولاية غرداية، حصل على الليسانس 1960م من جامعة القاهرة، والماجستير 1966، والدكتوراه 1970م، عمل رئيس تحرير لبعض المجلات الثقافية، وأستاذاً بجامعة الجزائر، ومسؤولاً عن العلاقات الثقافية بين الجزائر والبلاد العربية، كان عضوا في عدد من المجامع اللغوية ولجان التعريب وإصلاح التعليم، وعضوا في اتحاد الكتاب الجزائريين، مؤلفاته كثيرة والعديد من دراساته كانت في الأدب والثورة الجزائرية، ونذكر منها: شعراء من الجزائر . شعر المقاومة الجزائرية، الجزائر والأصالة الثورية... حصل على عدد من الجوائز والأوسمة وشهادات التقدير من الجزائر، وتونس، ومصر، توفي أواخر شهر نوفمبر 1998م.

(2) مصطفى كاتب: من مواليد مدينة سوق أهراس في أقصى الشرق الجزائري، كان المؤسس لفرقة المسرح العربي بقاعة الاوبرا عام1947 برفقة محيي الدين باشطارزي، شارك الممثل في فيلم "ريح الأوراس" و"الليل يخاف من الشمس" عام 1965 للمخرج مصطفى بديع، كما أخرج فيلما بعنوان "الغولة" عام 1972، في 1958م عُيِن رئيسا للفرقة الفنية التي أنشاتها جبهة التحرير الوطني في تونس برفقة مصطفى تومي، وبعد الاستقلال عُين مديرا للمسرح الوطني الجزائري، وأنشأ مدرسة للفنون الدرامية والرقص الشعبي. وفي 1973م عين مستشارا ثقافيا بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وساهم في بعث الحركة الثقافية والمسرحية في الأوساط الجامعية، توفي هذا الممثل البارز في تاريخ السينما الجزائرية يوم 28 أكتوبر 1989 بفرنسا بعد أن أعيد تنصيبه مديرا للمسرح الوطني الجزائري. من أهم أعماله

صدرت هذه المسرحية في ماي1958م، وهي عبارة عن لوحات فنية درامية من كفاح الجزائريين في مقاومة ومواجهة الاحتلال الفرنسي، "تبدأ القصة بمنظر شاب جزائري ألقي عليه القبض وعذب أشد تعذيب ثم زُجَّ به في السجن وهو في حالة سيئة لا يتوقع منها إلا الموت من لحظة إلى أخرى، فتغمض عيناه وتقتحم خاطره صور من وطنه في شكل ذكريات عن فصول حياته وزفاف أخيه الأكبر وتنقلاته... ونشأته وصباه فختانه... ومن خلال هذه الحوادث العادية نعبر كل أنحاء الجزائر ونسمع أغانيها ونفتن بجمالها ونأسى بآلامها ونزهو برقصاتها ونغماتها في عروض تتسم بالحيوية والألوان والتماسك والانسجام[1] بين مشاهدها وطبيعة أدوار شخصياتها.

1-3-2- مسرحية "أبناء القصبة" و"الخالدون" لعبد الحليم رايس: [2]

كتبت مسرحية "**أبناء القصبة**" في ظروف استعجالية سنة 1958م، أما مسرحية "**الخالدون**" فأنتجت سنة 1960م، وقام بإخراجهما "مصطفى كاتب" وكان من أهم أهدافهما هو التعريف بالقضية الجزائرية من خلال تجسيد مشاهد بطولية من قلب معارك الثورة التحريرية، ونضال العائلة الجزائرية الصّامدة من أجل تحقيق حلم الحرية والاستقلال، حيث كانتا خير تعبير عن جزء مهم من الجانب

المسرحية: ولد اليل، الكاهنة، الأكاذيب، عدو الشعب، دون جوات، عنتر بن شداد، عثمان في الصين، المجرم، توباز، السحور، مونصيرا، البوابون، الجثة المطوقة، الرجل صاحب النعل المطاط، جحا باع حماره، رأس المملوك جابر، سليمان الحلبي، الزفاف الدامي، ليل العبيد، بيت برناردا آلبا ....

(1) نقلا من **أرشيف المسرح**، مجلة الحلقة، إدارة المسارح الوطنية الجزائرية، الجزائر، 02، جويلية 1972، ص61.

(2) عبد الحليم رايس: هو كاتب وممثل مسرحي جزائري بدأ حياته المهنية كعون في شركة الكهرباء بمدينة الجزائر، ثم عمل كممثل بالإذاعة، وقع عقدا في سنة 1951م مع محي الدين باش تارزي تعهد من خلاله بالعمل معه طيلة ثماني سنوات، وفي سنة 1956 توجه إلى باريس، حيث اتصل بعبد الحفيظ كرامان وأخيه النذير وهما عضوان في فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير، وساهم معهما في تكوين خلية من المناضلين عرفت بعدها بفرقة جبهة التحرير، سجل وجوده كفنان محترف من خلال أعمال كثيرة شارك فيها منذ سنة 1963 "كإفريقيا قلب واحد" و"132 سنة" و"العهد"، كما اهتم بالسينما وأدى أول دور له في فيلم "العفيون والعصا" لأحمد راشدي، و"سنعود" لسليم رياض، و"الشبكة" للغوتي بن ددوش و"المفيد" الذي هو آخر أعماله. توفي رايس إثر سكتة قلبية سنة 1979 عن عمر يناهز "55 سنة.

النضالي لثورة نوفمبر المجيدة، والواقع المرير الذي كانت تعيشة الجزائر بسبب الاحتلال.

1-3-3- مسرحية "دم الأحرار" لعبد الحليم رايس:

صدرت هذه المسرحية سنة 1961م، وساهم مصطفى كاتب في إخراجها أيضا، حاول من خلالها عبد الحليم رايس تجسيد "القيم و المبادئ العليا لثورة التحرير الجزائرية، ومعاناة المجاهدين في الجبال أيام المقاومة المسلحة، وتلاحم الثوار في العيش وفي الأهداف، وتدور أحداث المسرحية في الجبل بمعقل مجموعة من الثوار، الذين كانوا مقتنعين بضرورة استمرارية الثورية إلى غاية نيل الاستقلال[1]

1-4- مسرحية "مصرع الطغاة" لـ: عبد الله الركيبي: [2]

وهي مسرحية ذات أربعة فصول نشرت سنة 1959 وفيها استعاد الكاتب فجر الثورة التحريرية، واللقاءات السرية للقادة، وقدم صورة عن الوضع السياسي والاجتماعي العام السائد في الجزائر عشية انطلاق الثورة التحريرية، ومدى استعداد عموم الشعب لخوض الكفاح المسلح بعد فشل النضال السياسي، كما قدّمت المسرحية مشاهد مختلفة أبرزت فيها مدى ذعر الاستعمار وانتقامه البشع

---

[1] نور الدين عمرون: **المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000**، شركة باتنيت، الجزائر، 2006م، ص 110.

[2] **عبد الله الركيبي:** ولد الدكتور عبد الله خليفة ركيبي بولاية بسكرة سنة 1928م، وسجل في الحالة المدنية سنة 1930م. أخرجه والده في بداية الحرب العالمية الثانية من المدرسة الفرنسية لما أحس بأنه بدأ يميل إلى الثقافة الفرنسية، وفي عام 1947م ذهب إلى تونس، وانتسب إلى جامع الزيتونة، وتخرج منه سنة 1954م، متحصلاً على شهادة التحصيل، فرجع إثر ذلك إلى الجزائر، والتحق بالثورة التحريرية يوم 17 ديسمبر 1954م. ألقت السلطات الاستعمارية القبض عليه سنة 1956م، واعتقلته في سجن (آفلو)، وبعد فراره أرسلته جبهة التحرير في عام 1960 إلى مصر، فانتسب إلى كلية الآداب بجامعة القاهرة، ونال فيها الإجازة عام 1964م. وبعد عودته إلى الجزائر كان باحثا نشطا اشتغل عدة مناصب هامة، ومنها أستاذا في معهد اللغة والأدب العربي بجامعة الجزئر، حيث أشرف على بحوث جامعية عديدة، وأسهم في مناقشة الكثير من الرسائل والأطروحات الجامعية، تارك عشرات المؤلفات والدراسات الهامة، توفي سنة 2011م.

من الجزائريين، ثم اختتمت المسرحية بمشهد مصرع الطغاة وتحرير الوطن وتخليصه منهم.

2- صدى الثورة الجزائرية في الأعمال المسرحية العربية:

لاقت الثورة الجزائرية صدى وتفاعلا كبيرا أيضا في الأعمال المسرحية في كثير من البلدان العربية، حيث "حفزت وجدان المبدعين العرب مشرقا ومغربا وفجرت أعماقهم، واستقطبت اهتمامهم فاستلهموا أحداثها في الكثير من إبداعاتهم[1] وكانت "جميلة بوحيرد" من أهم رموز الثورة الجزائرية التي تجسدت في المسرح العربي في العديد من الأعمال المسرحية المتميّزة، من خلال سرد قصة صمودها وتحديها للاستعمار وجنوده، ومن أهم هذه الأعمال التي خلّدت اسمها نذكر على سبيل المثال لا الحصر مسرحيتي: "**البطلة**" للكاتب التونسي "**محمد فرج الشاذلي**". ومسرحية "**جميلة**" للكاتب الليبي "**عبد الله القويري**"، وهما مسرحيتان منشورتان بمجلة "**الفكر**" التونسية[2] (التي دافعت عن التعريب والعربية في سبعينيات القرن الماضي)، حينما أصدرت المجلة عددا خاصا عن المسرح، "وتتناولان موضوعا واحدا هو موضوع إسهام المرأة الجزائرية في الثورة، ومشاركتها الفعالة في النضال الوطني الجزائري[3] ضد الاستعمار الفرنسي.

ونشير أيضا إلى مسرحية "**جميلة**" للأديب السوري "**عبد الوهاب حقي**"[4]: وهي مسرحية تمجد الثورة الجزائرية وتشيد بصمود "بوحيرد" ونضالها وموقفها من

---

(1) محمد الصالح الجابري: الثورة الجزائرية من خلال بعض المسرحيات التي نشرت بتونس إبان الثورة، مجلة الثقافة، العدد 96، ص15.

(2) مجلة الفكر التونسية: هي مجلة شهرية أدبية وفكرية تونسية صدر عددها الأول في أكتوبر 1955 وتوقفت عن الصدور عام1986 م، أسس هذه المجلة محمد مزالي وساعده في مواصلة صدورها البشير بن سلامة، وكلاهما تقلد الوزارة في عهد الرئيس الحبيب بورقيبة.

(3) محمد الصالح الجابري: الثورة الجزائرية من خلال بعض المسرحيات التي نشرت بتونس إبان الثورة، ص28.

(4) عبد الوهاب حقي: ولد الفقيد عبد الوهاب حقي (وهو من أصول سورية) في عام 1933 ، نشأ في أسرة مثقفة البارز فيها هو والده الشاعر إسماعيل حقي. واستقر الراحل عبد الوهاب باسم"جدو حقي "بالجزائر منذ فترة طويلة،

الاستعمار، حيث عرضت إبان الثورة التحريرية في العديد من المحافظات السورية. ونجد أيضا مسرحية "**جميلة**" للشاعر المصري "كامل الشناوي"، وهي أوبرا تصور بطولة المرأة الجزائرية في كفاحها من أجل تحرير الوطن، حيث أبرز الكاتب بشاعة التعذيب الذي لقيته البطلة حتى تبوح باسم قائد الفدائيين، ورفضها الرضوخ لمطالب معذبيها من الجنود الفرنسيين، وتفضيلها للصمود والتحدي مضحية بذلك بنفسها من أجل وطنها.

ومن الأعمال المسرحية العربية التي لاقت رواجا كبيرا أيضا مسرحية "مأساة جميلة" للأديب المصري عبد الرحمن الشرقاوي التي تُعد أهم عمل مسرحي مصري كتب عن الثورة الجزائرية، ومن الواضح أنّ تركيز المسرح العربي على شخصية "جميلة بوحيرد" واقعا ورمزا وأسطورة لم يكن هكذا عبثا؛ لأنها فعلا كانت شابة قوية، واجهت المحن والأرزاء بحكمة وصبر وتحمل لكل ما مارسه عليها السجانون من وحشية وقسوة وتعذيب، فكانت رمزا للبطولة والمرأة العربية المسلمة المناضلة من أجل الحرية والسلام والوطن العزيز الجزائر.

3- قراءة في مسرحية "مأساة جميلة" لعبد الرحمن الشرقاوي وبُعدِها الثوري:

مسرحية مأساة جميلة هي مسرحية من الشعر الحر نشرت سنة 1961 قبل أن يتم عرضها من طرف فرقة المسرح القومي المصري في موسم 1962م وهي مسرحية للكاتب الشاعر عبد الرحمن الشرقاوي، كُتبت في حوالي 240 صفحة من الحجم المتوسط، وتتألف من خمسة فصول مقسمة إلى مشاهد متفاوتة

وتحصل على الجنسية الجزائرية وعمل بالإذاعة الجزائرية التي تخصص بها في حكايات إذاعية للأطفال، وهو عضو في اتحاد الكتاب الجزائريين. بدأ الكتابة في سن مبكرة، ولم يكف عن العطاء رغم سنه المتقدمة، وله أكثر من سبعين عملا في مختلف ضروب الأدب حيث كتب الرواية وقصص الأطفال ومقالات صحفية وأعمال مسرحية إلى جانب مسلسلات إذاعية، ومن مؤلفاته "صراع" وهي مجموعة قصصية عام 1945، و"نفثات قلب" وهي عبارة عن قصص وأشعار سنة1953.

وفي المجال المسرحي ترك "ضيعة الاستعمار" 1954، ومسرحية "جميلة" في 1956، و"ثلاث مناضلات عربيات" سنة 1958، وأيضا "بندقية العم حمدان" وهي مجموعة قصصية معروفة جدا طبعها بالجزائر عام 1986.

بين الطول والقصر والبساطة والتعقيد، تجري أحداثها في أماكن مختلفة من الجزائر العاصمة زمن الثورة التحريرية، ابتداء من سنة 1956 حيث كان حي القصبة العتيق ملجأً للمجاهدين، ومكانا هاما للعمليات الفدائية، وللصراع الدائر بين الثوار وجنود الاستعمار.

وتصوّر هذه المسرحية مأساة البطلة الجزائرية جميلة بوحيرد، وتروي كيف اعتقلها الفرنسيون وهي في حالة نشاط ثوري فعلي لحساب النضال الجزائري المسلح، ثم يروي المؤلف قصة تعذيبها ومحاولة إرغامها على كشف أسرار زملائها في النضال ورفضها المطلق لذلك، ثم تروي القصة تفاصيل محاكمتها وكيف كانت رزينة وصامدة في المحكمة مضحية بحريتها من أجل حرية الآخرين، وبهذا جسدت لنا هذه المسرحية ومناظرها تلك التضحيات الجسام التي بذلها أبناء الجزائر الأحرار وبناته الحرائر الجميلات فداء لحرية الوطن واستقلاله وهو ما يعكس عمق الصراع الثوري الذي شهدته الجزائر للتخلص من وحشية الاستعمار وقهره وظلمه الذي طال لأمده لأكثر من قرن آنذاك.

وإضافة إلى سعي الشرقاوي في مسرحيته التعبير عن إرادة التحرّر والانعتاق لدى الشّعب الجزائريّ عامة والمجاهدين خاصة؛ بقيادة "ياسف سعدي"[1] ومشاركة حتى المتطوعات من النساء، (ومن بينهن "جميلة بوحيرد" التي كانت في الخط الأمامي من النساء المتطوّعات)، اللواتي زرعن الرعب في قلوب جنود الاستعمار من خلال ما كنّا يزرعنه من قنابل في معاقل الاستعمار الذي غزا وجدان الجزائريين لسنوات طوال، حاول الشرقاوي في هذه المسرحية كشف الوجه الحقيقي للمستعمر الذي كان يروج لنفسه بحفظ الحقوق والعدالة

[1] **ياسف سعدي:** هو أحد أشهر قادة جبهة التحرير خلال الثورة الجزائرية، وُلد سنة 1928م، شارك في مظاهرات حزب الشعب الجزائري في:1 ماي 1945 ثم مظاهرات: 08 ماي 1945، أرسل في سنة1955 م إلى سويسرا للاتصال بممثلي أحمد بن بلة هناك، وبعد عودته واصل نشاطه في سرية إلى غاية سنة 1956 أين عُين قائدا للمنطقة المستقلة للعاصمة، وكان يتخذ من القصبة ملجأ له ولباقي الفدائيين، أُعتقل وحُكم عليه بالإعدام، وأفرج عنه بعد وقف إطلاق النار.

والسلم، وهو في حقيقته يمارس مختلف أنواع التعذيب والقهر والقمع والجرائم البشعة والمجازر الجماعية في مستعمراته على غرار منطقة الجزائر العاصمة التي جرت فيها أحداث المسرحية.

والحقيقة أن مؤلف هذه المسرحية يحتفي بالتضحيات التي بذلها المجاهدون أكثر من احتفائه بتصوير المعارك والإشادة بالانتصارات التي حققوها، ذلك لأن المسرحية تراهن على تمجيد القيم الثورية وليس الوقائع الحربية، وهذا ما جعل مشاهد المسرحية غنية بصور البطولة والتحدي والفداء والتحرر والشجاعة والتضحية وغيرها من القيم الثورية الخالدة التي جسدتها ثورة التحرير الجزائرية والتي جعلتها (ومن أبطالها وثوارها وشعبها) تسمو إلى مرتبة الثورة الرّمز والمرجعية التي تقتدي بها الشعوب المضطهدة في العالم بما فيهم الشعوب العربية الإسلامية.

4- قراءة في شخصيات المسرحية:

اعتمد عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته على شخصية تاريخية معروفة هي "جميلة بوحيرد"، وأكثر من ثلاثين شخصية مسرحيّة ما بين أساسية ومتوسطة الأهمية وثانوية، دارت فيما بينها مختلف أحداث الصراع، ويعرف عن الشرقاوي أنه "يعتمد على الشخصّيات التاريخّيه المعروفة، وهذا العمل يحتاج إلى مسرحي متمكّن يعرف الحوادث التاريخيّة [1]، والملاحظ أن الصراع في المسرحية لا يدور حول شخصية رئيسة واحدة، وإن كانت معظم أحداثه مرتبطة بشخصية "جميلة" إلا أنَّ هناك بعض الشخصيات التي لها دور هام وبالغ كشخصية "**جاسر**" التي لا تقل أهمية عن شخصية "**جميلة**"، أو شخصية "**بيير**" الشخصية المضادة العاكسة لحقيقة الاستعمار الفرنسي الغاشم.

[1] ثريا العسيلي: أدب عبد الرحمن الشرقاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995م، ص 79.

والمتأمل جيدا في متن وأحداث وشخصيات المسرحية قد يلاحظ أيضا أن البطولة الفردية في هذه المسرحية شبه غائبة –إن صح التعبير– وموزعة على مجموعة من الشخصيات رغم أن عنوان المسرحية يوحي بإبراز بطولات "جميلة" وتضحياتها من أجل الوطن، وكل هذا يقودنا إلى أن نقول أن البطولة الجماعية حلّت محلّ البطولة الفرديّة، وبتعبير آخر يمكن أن نقول أيضا أنّ البطل في هذه المسرحية هو الشعب الجزائري ككل؛ لأن توظيف الشاعر لعدد كبير من الشخصيات المختلفة هدفه هو رسم صورة متكاملة عن الأطراف المشاركة في الثورة الجزائرية، التي شارك فيها جميع أطياف المجتمع ، ولذلك نجد في هذه المسرحية شخصيات متنوعة؛ فهناك شخصيات تمثل مجاهدي الثورة التحريرية مثل: "جاسر"، و"عزام" و"هند" و"العم مصطفى" وغيرهم وعل رأسهم "جميلة بوحيرد"، وهناك شخصيات تمثل الاستعمار مثل : "بيير" و "مأمور السجن" و"رئيس المحكمة" والجنود والمستوطنين والضباط وغيرهم، كما نجد صنفا آخر من الشخصيات، مثّلَت دور الفرنسيين المتعاطفين مع الثوار مثل: "الشاويش جان"، والمحامي "فيرجيه"، إضافة إلى شخصيات تعمل مع الفرنسيين ولكنها ليست من أصول فرنسية مثل الضابط الألماني "فريتز"، بالإضافة إلى شخصيات كثيرة أخرى منها من هو مساند للقضية الجزائرية ومنها من هو محايد لا يسعنا هذا المقام أن نفصل فيها كلها.

5– قراءة في شخصية جميلة وملامحها في المسرحية:

المتتبع لمسار ووصف شخصية جميلة في هذه المسرحية يلاحظ أن الكاتب لم يركز على أوصافها وملامحها الجسدية والنفسية أكثر مما ركز على الجانب الثوري النّضالي البطولي لها، فنجده يصفها بإيجاز في بداية المسرحية مبينا حالتها الاجتماعية موضحا أنّها فتاة جذابة لم تبلغ سن العشرين من عمرها، وأنها يتيمة الأبوين، وتعيش رفقة أخيها "سرحان" في كنف عمها "مصطفى بوحريد"، وأنّها كانت تلميذة في المدرسة قبل أن تقرر التخلي عن دراستها لتلتحق

بصفوف الثورة... ومما يلاحظ أيضا حول شخصية جميلة في هذه المسرحية هو البُعد النفسي والانفعالي لها؛ فهي تبدو منذ البداية شخصية متمرّدة، ذات وعي سياسي بما يجري في وطنها، تؤمن بأن الثورة المسلحة هي الأسلوب الأمثل لمقاومة الاستعمار، ويظهر كل هذا خاصة بعد استشهاد "أمينة" زميلتها في الدراسة، وحينما وصفها "جاسر" وهو يعبر عن إعجابه الشديد بهذه الطفلة الثائرة إذ يقول محدثا نفسه :

طفلة تحلم أن تنضم للجيش !! وفي كل بلد يحلم الطفل بلعبه
أو بأثـــــواب جـــــــدد
إن في أقوالها شيـــئا حقيـــــــــــقيا هو الصــدق الجلـيل
إنها أروع مما كنت أحسب
إن في نظرتها نار الغضب
إن في أعماقها الثورة، والحقد النبيل[1]

كما وسم الشرقاوي شخصية جميلة بالبعد الثوري النضالي بشكل واضح، حيث ساهم في تشكيله عوامل موضوعية تتمثل التضحية من أجل تحقيق استقلال الوطن وطرد المستعمر منه مهما كلف الثمن، وعوامل ذاتية تتمثل –إضافة إلى استشهاد زميلتها "أمينة"– دافع الانتقام من الاستعمار لقاء قتله لِعَمها "مصطفى بوحيرد" وأخاها "سرحان"، ومقابل كلّ هذا كان لا بد عليها أن تصبر على تعذيب جنود الاستعمار لها، وسبّهم وشتمهم لها، وفي هذا المقام نستذكر قول الشاعر عبد الكريم العقون حينما يقول عنها واصفا المستعمر بـ"القاسي" قائلا:

أوجـعوا جســمكِ ضربًا عنّفـــوا شتما وسبّا
سحقا للقاســـي وتبا كلّـــنا للمـــوت هبّا
فصبرت يا جميلة[1]

[1] عبد الرحمن الشرقاوي: **مأساة جميلة**، من كتاب: **ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر**، إعداد : حسن فتح الباب، ط1، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2005، ص392.

وما يُلاحظ عموما أنّ الكاتب قد أغفل قليلا عن إبراز الجانب النفسي لشخصية "جميلة"، حيث كانت "الملامح التاريخية لجميلة في المسرحية واضحة تماما، ولكن الملامح النفسية الداخلية غير واضحة[2] على الرغم من أنه كان يمكن التوسع في تصوير عواطفها ومدى تعلّقها بالقائد "جاسر" وتعلقه هو الآخر بها، إلّا أن حبّهما ظلّ حبّا عفيفا طاهرا سجين نفسيهما، لأنّ حبّ الوطن شغلهما حتى عن مجرد البوح بحبهما لبعضهما. ولم يظهر إلا في ختام المسرحية وهما في قبضة الاستعمار، حيث لم يستطيعا إخفاء مشاعرهما، حيث قالت "جميلة" بأسى هائل:

يا ليتهم قبضوا على كل المدينة ما عـداك

أيكـــــون حقّا كـــــلّ ذاك؟ أنعيش في الكابـوس ؟!

جاسر: لا... بل.. إنه حـــــــلم سعيد....

هذا هو الثمن الذي لابد منه لمولد الزمن الجــديد [3]

ويرى بعض الدراسين في هذا الموقف الختامي أن "المؤلف قد نال من بطولة جميلة في موقفها الأخير[4]، غير أن المتأمّل فيه جيد سيتضح له أنه موقف إنساني نبيل يتمثل في ضعف عاطفي يشعر به أي إنسان وهو يرى من تعلق به قلبه وافتداه بنفسه في موقف سابق، يسقط أمام عينيه بسببه، وبهذا تكون "جميلة" قد ضحت بنفسها وبحبّها وبذلت كلّ طاقاتها ومجهوداتها من أجل وطنها.

---

(1) مجموعة من الأساتذة والمفتشين: **كتاب اللّغة العربيّة للسنة الثانية من التّعليم المتوسّط**، دار أوراس للنشر، الجزائر، 2017، ص52.

(2)– رجاء النقاش: **في أضواء المسرح**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1965. ص 148

(3) عبد الرحمن الشرقاوي: مأساة جميلة، من كتاب: ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ص560.

(4)– محمد غنيمي هلال: في النّقد المسرحي، دار العودة، بيروت، لبنان، 1975، ص64.

خاتمة:

تعتبر مسرحية "مأساة جميلة" لعبد الرحمن الشّرقاوي من أهم الأعمال المسرحيّة الشعريّة عربيا ومتوسطيا؛ التي كتبت ونشرت حول موضوع الثورة التحريرية والثورة لا زالت قائمة، تلك الثورة المجيدة التي كُلّلت بنيل الحرية والاستقلال، والتي كان لها صدى كبير في الوجدان القومي العربي (وحتّى العالمي)، حيث ألهمت قرائح الأدباء العرب في اتخاذ قادة ثوارها أبطالا لأعمالهم الإبداعيّة، وتعدّ مسرحيّة "مأساة جميلة" مرآة عاكسة للثورة الجزائرية، بحيث أن الدارس لهذه المسرحية يكتشف الكثير من أشكال الصراع والشخصيات والحوادث الحقيقية، التي نسجها الكاتب نسجا فنيا محكما، وتعدّ أيضا تتويجا لتفاعل الشعر والمسرح مع الثورة الجزائرية وأبطالها في عمل خالد قرن في المؤلف اسمه باسم بطلة من أبطال الجزائر ضحت بنفسها من أجل وطنها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أديب بامية عايدة: تطور الأدب القصصي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

2. أحمد بيوض: المسرح الجزائري (1926-1989)، منشورات التبيين/الجاحظية، الجزائر، 1998.

3. أرشيف المسرح، مجلة الحلقة، إدارة المسارح الوطنية الجزائرية، الجزائر، 02، جويلية 1972.

4. ثريا العسيلي: أدب عبد الرحمن الشرقاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995م.

5. ثليلاني أحسن: المقاومة الوطنية في المسرح الجزائري (ما بين 1954-1962)، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006.

6. حسن فتح الباب: ثورة الجزائر في إبداع شعراء مصر، ط1، منشورات مؤسسة مفدي زكرياء، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 2005.

7. محمد الصالح الجابري: الثورة الجزائرية من خلال بعض المسرحيات التي نشرت بتونس إبان الثورة، مجلة الثقافة، العدد 96.

8. مجموعة من الأساتذة والمفتشين: كتاب اللّغة العربيّة للسنة الثانية من التّعليم المتوسّط، دار أوراس للنشر، الجزائر، 2017.

9. موقع المعرفة: https://www.marefa.org/موقع_إلكتروني.

10. نور الدين عمرون: المسار المسرحي الجزائري إلى سنة 2000، شركة باتنيت، الجزائر، 2006م.

11. يحيى بوعزيز: مكانة ثورة أول نوفمبر 1954 بين الثورات العالمية ودورها في تحرير الجزائر، مجلة المصادر- الجزائر، ع 04، 2001.